أفعال الإنسان

بين الجبر والاختيار

بقلم

عبد الله ناصح علوان

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
http : //www.dar-alsalam.com e-mail : info @ dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والصلاة والسلام على مَنْ جلَّى معالم الهداية للناس ، وعلى آله وأصحابه الذين أعلوا كلمة الحق ، ورفعوا منار الإسلام ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن مسألة القضاء والقدر من المسائل الاعتقادية المهمة التي شغلت بال العلماء قديمًا وحديثًا ، وأخذت من أوقاتهم البحث الكثير ، والجهد المتواصل .. وقد وصل أهل الحق ،ورجال العلم والاجتهاد .. في هذه المسألة إلى أظهر الحقائق ، وأفضل النتائج ... حيث لم يتركوا في علاجهم لها وتبيان معالمها شبهة لمرتاب ولا التباسًا

لمتشكك .. وها أنا ذا أنقل في هذا الكتيب ما ذكره العلماء قديمًا وحديثًا حول أفعال العباد ، وقضية الهداية والضلال ، بعبارة سهلة ، وأسلوب شيق ... مع قوة الحجة ، ونصاعة الدليل ، وتبيان المنهج ..

وأرجو من اللَّه ﷻ أن يرى القارئ الكريم في هذا البحث الحقائق الناصعة المدعومة بالحجة القاطعة للشبهة ، الموفية بالغرض ، المحققة للهدف .. كما أسأله سبحانه أن يجد شبابُنا المسلم في بحث « أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار » الحجة الداحضة لأوهامهم والرد القاطع لتشككاتهم ، والجواب الشافي لتساؤلاتهم .. ليزداد شبابنا إيمانًا بهذا الإسلام العظيم ، وبهذه الحقائق الخالدة ... إنه خير مأمول ، وبالإجابة جدير .

المؤلف

عبد الله ناصح علوان

- ١ -

لو استعرضنا أسئلة الذين يسألون عن حقيقة القضاء والقدر ، أو يسألون عن الجبر والاختيار في أفعال الإنسان ، أو يسألون عن ارتباط المشيئة الإلهية في هداية الإنسان وضلاله ... نجد أن هذه الأسئلة كلها تتركز في النقاط التالية :

- **اللَّه سبحانه هو الذي خلقنا وخلق أفعالنا ، فلماذا يحاسبنا على الأفعال الشريرة التي نفعلها طالما أنه هو الذي خلقها ؟**
- **وما معنى قوله تبارك وتعالى :**

﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ (١)

- **إذا كان اللَّه ﷻ كتب عليَّ أن أكون من أهل الشقاوة فماذا يكون عملي أنا ؟ ولماذا يعذبني ؟**

---

(١) سورة النحل آية ٩٣ .

لاشك أن هذه التساؤلات حديث كثير من الشباب ، وهي تساور نفوسهم بين الفينة والفينة ، بل يرغبون بإجابات شرعية مقنعة تقطع عن النفس الإنسانية وساوسها ، وتلقم المشوهين لحقيقة القضاء والقدر الحجر !! .

– ٢ –

وقبل أن أجيب على هذه النقاط يحسن أن أبين – ولو باختصار : **من هو الإنسان ؟ وما هي أفعاله** [١] ؟ .

الإنسان : هو الكائن الحي المخلوق الذي فضله اللَّه ﷻ على كثير ممن خلق تفضيلًا ، والذي ميزه سبحانه على سائر الكائنات : من جماد ، ونبات ، وحيوان ... وبالعقل الناضج ، والفكر الثاقب ، والفهم الواعي ، والإرادة النافذة ... وصدق العظيم القائل في سورة

(١) استفدنا كثيرًا في معالجة هذا البحث من كتاب « القضاء والقدر » للأستاذ متولي شعراوي .

الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [١] .

والإنسان رغم كونه أعلى الكائنات والمخلوقات والأجناس في الوجود على الإطلاق ، رغم هذا ، فيه جمادية ، وفيه نباتية ، وفيه حيوانية !! .. فما في الإنسان من خصائص جمادية ونباتية وحيوانية فهو مسير فيها كالجماد ، والنبات ، والحيوان ... دون أن يكون له في هذا التسيير أية إرادة أو اختيار !! .. فإذا تصورنا أن إنسانًا استطاع أن يرفع نفسه عن الأرض إلى أعلى فسوف يسقط بعد ذلك كقطعة الحجر ؛ لأن قانون الجماد يتحكم فيه ، وقانون الجاذبية يشده إلى أسفل .

وأيضًا فهو ينمو شيئًا فشيئًا ، ولا دخل له في هذا النُّمو ، وليس له عمل فيه ؛ لأن قانون النبات يتحكم فيه

(١) سورة الإسراء آية ٧٠ .

ويدفعه إلى أن ينمو ويكبر .

وكذلك فهو يحس بلا اختيار ، ويتحرك بحركة غير إرادية ، وليس له أي عمل في هذا الإحساس ولا في هذه الحركة ... فلا يعرف كيف يقوم الجهاز الهضمي بمهمته؟ ولا يعلم كيف يؤدي الجهاز التناسلي وظيفته ؟ ولا يخطر بباله كيف تتم عملية الشهيق والزفير للحفاظ على الحياة ؟ ! لا يعرف الإنسان شيئًا من هذا ، أو بمعنى آخر لا يشعر بأن له أية إرادة أو إحساس في قيام هذه الأشياء بمهمتها ، أو في أدائها وظيفتها .. لأن قانون الحيوانية يتحكم فيه ، ويدفعه إلى أن يتحرك ويحس بلا إرادة منه ولا اختيار ..

وإن من رحمة اللَّه على الإنسان أن جعله اللَّه ﷻ مسيرًا في ذلك كله ولا عمل له في هذه الأشياء البتة ، وإلَّا فمن يدير أجهزة جسمه ، ومن يقوم بهذه المهمات والوظائف إذا كان نائمًا وله دخل أو تصرف أو إرادة ...

في إدارة هذه الأجهزة ، والقيام بهذه المهمات ؟ !

إذن فما في الإنسان من جمادية ونباتية وحيوانية مسير فيها ، ولا اختيار له في شيء !! .

فما هي خاصية الإنسان التي تميزه عن سائر الأجناس والمخلوقات والعوالم إذن ؟

الخاصية : هي العقل والفهم والتمييز ... فهذه الخاصية يكون الإنسان مكلفًا إذا بلغ سن البلوغ ، وإذا كان مكلفًا فيستطيع أن يوازن بين أن يفعل الشيء أو أن لا يفعله .

ومعنى هذا أنه أصبح حرًّا مختارًا بين الاستجابة لشريعة اللَّه أو عدمها . ومن هنا نعلم أن فاقد العقل غير مكلف شرعًا لماذا ؟ لأنه مجنون ، وإذا كان مجنونًا فإنه لا يستطيع الموازنة بين أن يفعل هذا الأمر أو لا يفعله !! .

وكذلك الصبي فإنه غير مكلف شرعًا لماذا ؟ لأنه لم ينضج عقله بعد ، ولم يكن أهلًا لإدراك حقائق الأشياء ،

والموازنة بين الخير والشر ، وربط النتائج بمقدماتها ، والأسباب بمسبباتها .

والذي أخلص إليه بعدما تقدم :

إن الذي يقول : إن الإنسان على إطلاقه مُسَيَّر يكون مخطئًا ؛ أو يقول : إن الإنسان على إطلاقه مُخَيَّر يكون مخطئًا ، بل نقول له : إن الأفعال تمر بدائرتين :

– دائرة من الأفعال مسير فيها ، لا يملك أية حرية أو اختيار في قبولها أو رفضها كمجيئه إلى هذه الدنيا أو ذهابه منها ، وكحركة أجهزة جسمه اللاإرادية ، وكولادته قصيرًا أو طويلًا ، أبيض أو أسود ...

– ودائرة من الأفعال مخير فيها يملك عن طريق المحاكمة العقلية ، والشعور الإرادي .. الحرية والاختيار في قبولها أو عدم قبولها ، كالتكاليف الشرعية بعمومها ، فإنها تدخل في حيز طاقة الإنسان وإرادته ، فيملك تنفيذها .

– ٣ –

بعد أن عرفنا من هو الإنسان ؟ وما هي خصائصه ؟ وما هي أفعاله ؟ نجيب على هذا التساؤل : [**اللّه سبحانه هو الذي خلقنا وخلق أفعالنا ، فلماذا يحاسبنا على الأفعال الشريرة التي نفعلها طالما أنه هو الذي خلقها ؟**] .

هنا نجد أن الدين حينما أراد أن يتعرَّض لهذه المسألة فقد تناولها – فيما أفهم – على أساس أن جعل للّه وصفين :

الوصف الأول :إنه سبحانه هو الخالق وهو الفعال لكل شيء ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ (١) .

الوصف الثاني : إنه تعالى عَدْل لا يظلم أحدًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (٢) ولا ينبغي لأحد أن يأخذ صفة على حساب صفة ، ولا يجوز لإنسان أن يؤمن بصفة ،

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .
(٢) سورة النساء آية ٤٠ .

ويعطل الصفة الأخرى .

فالذين يقولون : إن اللَّه سبحانه يفعل للإنسان كل شيء ، فهم يريدون أن يثبتوا للَّه صفة الخلق لكل شيء ، وبعد ذلك يسلبونه تعالى صفة العدل ، وهؤلاء هم الجبرية [١] .

وهنا يعترض عليهم : فما دام اللَّه ﷻ هو الفعال لكل شيء فلماذا يعذبنا حينما نعصيه ؟

والذين يقولون : إن اللَّه سبحانه هو العدل ، فنجدهم يجعلون للإنسان فعل كل شيء ، وبعد ذلك يسلبونه تعالى صفة الخلق لكل شيء ، وهؤلاء هم القدرية [٢] .

ونحن نقول للفئتين : بل كلاكما على خطأ .

(١) الجبرية : هم الذين يسلبون الإنسان إرادته واختياره بل يقولون إنه كالريشة في مهب الهواء ليس له من الأمر شيء .

(٢) القدرية : لقب للمعتزلة لأنهم يذهبون إلى أن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم ، وليس للَّه دخل فيها .

فلا بد أن تأخذ كل صفة مكانها مع الأخرى ، ولا بد أن تكون صفة الخلق مرتبطة مع صفة العدل .

صحيح أن اللَّه سبحانه خالق لكل شيء ، ولكنه عدل أيضًا وكلمة « عدل » تتطلب منا أن نفهم أن اللَّه سبحانه لم يكلفنا إلَّا بما خلقنا صالحين لفعله ، وصالحين لعدم فعله ؛ فيمدنا بالطاقة ، **ويوجه لنا الوجهة** ،ويجعل فينا القدرة ، ويهبنا الحرية والاختيار بأن نفعل الشيء أو أن لا نفعله .

فأنا مثلًا حينما أرجح طريقًا على طريق ، لا يقال : خلقت الفعل ، وإنما وجهت الطاقة المخلوقة للَّه ، بالعقل المخلوق للَّه ، وبالاختيار الذي وهبنيه اللَّه .

فأنا في الحقيقة ليس لي فعل ، وإنما وجهت الأدوات الفاعلة فقط ؛ وما دمت أنا الذي وجهت ، فالفعل ليس مني ، وإنما التوجه للفعل مني أنا فقط ، وكذلك فإنَّ الذي يشرب الخمر مثلًا ، فإنه لا يخلق هو هذا الفعل في

معاقرته الخمرة ، وإنما وجه الأدوات الفاعلة لشربها : وجه الطاقة المخلوقة للّه ، بالمادة (أي الخمرة) المخلوقة للّه ، وبالاختيار الذي وهبه اللّه إياه ... فكان بهذه الوجهة متناولًا للخمرة ؛ فاللّه سبحانه حينما يحاسبه ، يحاسبه لكونه صرف هذه الطاقة الفاعلة ، وهذه الوجهة المختارة في غير الطريق الذي رسمه اللّه له ، وبينه له إياه .. ألا وهو اجتناب الخمرة ، وعدم معاقرتها لكونه قادرًا على ذلك !! .

وكذلك ، فإن الذي يصلي الصلاة في أوقاتها ، فإنَّه لا يخلق هو هذا الفعل في مواظبته الدائمة ، وإنما وجَّه الأدوات الفاعلة في الحرص على أدائها : وجَّه الطاقة المخلوقة للّه ، بالعقل المخلوق للّه ، بالاختيار الذي وهبه اللّه إياه ... فكان بهذه الوجهة ممتثلًا لأمر اللّه ، فاللّه سبحانه حينما يجازيه ، يجازيه لكونه صرف هذه الطاقة الفاعلة ، وهذه الوجهة المختارة في الطريق الذي رسمه اللّه له ، ألا

وهو امتثال أمر اللّه في العبادة لكونه قادرًا على ذلك !!

وقس على ذلك سائر الأوامر التي أمر اللّه بها ، والنواهي التي نهى اللّه عنها .. ومن هنا ندرك أن المهمة التي من أجلها أرسل اللّه الرسل – عليهم الصلاة والسلام – هي أن يبينوا للناس المنهج الأمثل الذي يجب أن يسلكوه ، والصراط السوي الذي يجب أن يتبعوه ... حتى لا يسيروا في الحياة طرائق قددًا ، وحتى لا تعصف بهم الأهواء ، وتجتاحهم الأضاليل ! .

اللّه سبحانه لا يقول للإنسان على لسان الرسول : افعل الخير ، ولا تفعل الشر .. إلَّا إذا خلقه قادرًا أن يفعل أو لا يفعل ، فعندما يقول اللّه له : صل كل يوم خمس صلوات فلا بد أن يكون قد خلقه قادرًا على أن يفعل وأن لا يفعل ؛ فإذا أدى الصلاة في أوقاتها فيكون مثابًا لكونه صرف القدرة على الفعل في طاعة اللّه ، وإذا قصر فيها وتكاسل عنها فيكون آثمًا لكونه صرف القدرة

على الفعل في معصية اللَّه .

وعندما يقول اللَّه له : لا تقربْ الزنى .. فلا بد أن يكون قد خلقه قادرًا على أن يفعل وأن لا يفعل ، فإذا ابتعد عن الزنى وعصم نفسه بالزواج فيكون مثابًا لكونه صرف القدرة على الفعل في طاعة اللَّه ، وإذا وقع في الزنى فيكون آثمًا لكونه صرف القدرة على الفعل في معصية اللَّه .

فلا يعقل أبدًا أن يأمر اللَّه العبد بأمر وهو لا يستطيع أن يفعله، ولا يجوز شرعًا أن ينهى اللَّه العبد بنهي وهو لا يستطيع أن ينتهي عنه : فالتكاليف الشرعية كلها تدخل في حيز الطاقة والإمكان بالنسبة لفعل الإنسان ، وهذا أمر لا ينكره إلَّا معاند أو مكابر !! .

فالمبدأ في هذا كله قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١) ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

حَرَجٍ ﴾ (١) ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (٢)

فإذن لا بد أن يكون قد أودع اللَّه في الإنسان القدرة على أن يفعل هذا الشيء أو أن لا يفعله .

ولا بد أن يكون قد وهبه اللَّه العقل ليميز به ما بين الخير والشر ، ولابد أن يكون قد رسم اللَّه له المنهاج الكامل ليعرف الأوامر التي يجب أن يفعلها ، والنواهي التي يجب أن ينتهي عنها .

ولا بد أن يكون هذا المنهاج متوافقًا مع طاقة الإنسان واستعداده وإمكانه ، ومن هنا ندرك سر المحاسبة في الأفعال الشريرة إذا اقترفها الإنسان .

يظن بعض قاصري الفهم أن هناك تعارضًا بين قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) وبين

(١) سورة الحج آية ٧٨ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .
(٣) سورة الشورى آية ٥٢ .

قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (١)

وهذا يعود إلى سوء الفهم لتفسير الآيات ، ومبلغ الجهل في معاني الكلمات ، فظنوا – وبعض الظن إثم – إن في بعض الآيات تعارضًا ، وفي معاني كلماته تناقضًا ... ولو أنهم تعمقوا في الفهم ، وأحاطوا في علم التفسير لما وقعوا في هذا الوهم الفادح ، والجهل الذريع !! .

وإليك – أخي القارئ – التوافق والانسجام في تفسير الآيتين :

الهداية في القرآن الكريم تحمل على معنيين :

المعنى الأول : تأتي الهداية بمعنى الدلالة ومنه قوله تعالى في سورة فصلت : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟

(١) سورة القصص آية ٥٦ .

يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

فمعنى « هديناهم » في هذه الآية : دللناهم على الطريق الموصل للخير .

المعنى الثاني : تأتي الهداية بمعنى الإعانة والحمل على الخير ، ومنه قوله تعالى في سورة محمد : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (٢) .

فمعنى ﴿ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ : أعانهم على الهدى وحملهم على فعل الخير فانطلاقًا من هذين المعنيين المتوافقين يمكن أن نفهم معنى الآيتين :

– ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

– ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٤) .

(١) سورة فصلت آية ١٧ .
(٢) سورة محمد آية ١٧ .
(٣) سورة الشورى آية ٥٢ .
(٤) سورة القصص آية ٥٦ .

فالهداية في الآية الأولى معناها الدلالة ، والمعنى : وأنك – يا محمد – لتدل على المنهج الأقوم والطريق الأفضل بالشريعة التي أنزلها اللَّه إليك . والهداية في الآية الثانية معناها المعونة ، والمعنى : أنك – يا محمد – لا تستطيع أن تعين أحدًا على الهداية أو تحمله عليها إذا صد عنها وأعرض، وعطل في نفسه المنافذ التي توصل إليها .

إذن فلا تعارض ولا تناقض بين الآيتين .

– ٥ –

من هذه المنطلقات في تفسير معنى الهداية يمكن أن نجيب عن معنى قوله تبارك وتعالى في سورة النحل : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (١) .

كنا ذكرنا قبل قليل أن الهداية في القرآن الكريم ترد بمعنيين :

(١) سورة النحل آية ٩٣ .

– **ترد بمعنى الدلالة** .

– **وترد بمعنى الإعانة** .

● **فالهداية التي بمعنى الدلالة** ، فكل الناس مشتركون فيها سواء أكانوا مؤمنين أو كانوا كافرين ؛ لأن اللَّه سبحانه هدى البشرية إلى منهجه الأفضل عن طريق إرسال الرسل وإنزال الكتب ، ولكنهم باختيارهم وعنادهم استحبوا العمى على الهدى ، وعن هذه الفئة المعاندة للحق ، المعرضة عن اللَّه ، المكذبة للرسل ... قال اللَّه تعالى في سورة فصلت : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ – أي دللناهم – فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (١) أي اختاروا الكفر على الإيمان .

● **وأما الهداية التي بمعنى الإعانة والحمل على الخير** ، فإنها خاصة بالذين يقبلون على اللَّه مؤمنين ، ويستسلمون لهداه صادقين ... وكأن اللَّه سبحانه يقول لهم : (حين

(١) سورة فصلت آية ١٧ .

آمنتم بي ، وصدقتم بمنهجي ، وأقبلتم بكليتكم عليَّ ... فإني أعينكم على هذا الأمر ، وأثبتكم على هذا الخير) ؛ وعن هذه الفئة قال اللَّه تبارك وتعالى . ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (١) ، أي أعانهم على الهدى وحملهم على الخير ، ووفقهم إليه .

وعلى ضوء ما ذكرناه أصبح معنى آية : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٢) ، **يعين على الضلالة من يشاء ، ويعين على الهداية من يشاء .**

فمشيئته سبحانه في الهداية والضلال مطلقة لا يسأل عما يفعل ، **ولكن اللَّه تعالى عَدْلٌ** ، فحاشاه أن يضل من يستحق الهداية ، وحاشاه أن يهدي من يستحق الضلالة ، لأنه القائل في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (٣) . والقائل : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤) .

(١) سورة محمد آية ١٧ . (٢) سورة النحل آية ٩٣ .
(٣) سورة النساء آية ٤٠ . (٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

ولكن **من هم الذين يشاؤهم اللَّه للضلالة ؟**

ومن هم الذين يشاؤهم سبحانه للهداية ؟

ومن هم الذين تكون ضلالتهم أو هدايتهم بمحض عدله سبحانه ؟

● الذين يشاؤهم اللَّه للهداية هم الذين فتحوا قلوبهم للهدى ، وعقولهم للحق ، وأقبلوا على منهجه مخلصين صادقين ، وانقادوا لدينه طائعين مستسلمين .. فهؤلاء يعينهم اللَّه ﷻ على الهداية ، ويوفقهم إليها ، ويحملهم عليها ، ويزيدهم في الحياة إيمانًا وهدى ...

فعن هذا القبيل يقول اللَّه سبحانه :

- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (١) .
- ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (٢) .
- أما الذين يشاؤهم سبحانه للضلالة فهم الذين حادوا

(١) سورة محمد آية ١٧ . (٢) سورة الكهف آية ١٣ .

عن الحق ، وأعرضوا عن الهدى ، وسدوا في أنفسهم جميع المنافذ التي تؤدي إلى إيمانهم وإسلامهم بل ليس عندهم أي استعداد بأن يتقبلوا أي منهج أنزله اللَّه على رسوله أو رسمه في كتابه ... ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [١] !! .

- فإن كانوا جاحدين باللَّه ، وكافرين بدينه فكيف يهديهم وهو القائل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٢] ؟

- وإن كانوا فاسقين في حياتهم ، وخارجين عن طاعة اللَّه في دنياهم فكيف يهديهم وهو القائل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ؟ [٣]

- وإن كانوا ظالمين للَّه ، وظالمين لعباده وظالمين لأنفسهم فكيف يهديهم وهو القائل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي

(١) سورة البقرة آية ١٧١ . (٢) سورة التوبة آية ٣٧ .
(٣) سورة التوبة آية ٢٤ .

ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ؟ [١]

فعن هذا القبيل يقول اللَّه ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [٢] .

- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [٣] .

- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [٤] .

وبالاختصار أقول :

إذا رأيت - أخي القارئ - آية في القرآن الكريم كهذه الآية : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [٥] .. فاحملها على أن اللَّه سبحانه له المشيئة المطلقة في كل

(١) سورة التوبة آية ١٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٦ .
(٣) سورة محمد آية ٨ - ٩ . (٤) سورة الزمر آية ٣ .
(٥) سورة النحل آية ٩٣ .

شيء ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (١) ، هذا – لاشك – من عظمة ربوبيته ، وكمال ألوهيته ... لكن مشيئة اللَّه هذه مقرونة بعدله سبحانه ، فحاشاه – وهو القادر – أن يضل من يستحق الهداية ، وحاشاه أيضًا – وهو القادر – أن يهدي من يستحق الضلالة ...

فالذين يشاؤهم تعالى للهداية ويعينهم عليها – كما سبق ذكره – هم الذين فتحوا قلوبهم للحق ، وآمنوا باللَّه مخلصين ، وأقبلوا على منهجه صادقين مستسلمين .. وأما الذين يشاؤهم سبحانه للضلالة ويحملهم عليها ... فهم الذين أعرضوا عن الحق ، وسدوا منافذ الهداية ، وتمادوا في الكفر مصرين معاندين ..

فاللَّه تعالى يجازي بعدله من اهتدى بعقله وطاقته واختياره ... جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ... ويجازي بعدله من ضل بعقله وطاقته واختياره ... جهنم

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

وساءت مصيرًا ...

وصدق اللَّه العظيم القائل في سورة الكهف : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١) .

– ٦ –

بقي أن نجيب على السؤال الثالث الذي يقول : « **إذا كان اللَّه ﷻ كتب عليَّ أن أكون من أهل الشقاوة فماذا يكون عملي أنا ؟ ولماذا يعذبني ؟** .

الإجابة على هذا التساؤل تكون من وجهين :

(١) سورة الكهف آية ٢٩ – ٣١ .

الوجه الأول : من أين علم السائل أن اللَّه سبحانه كتب عليه أن يكون من أهل الشقاوة وأن يموت على الكفر ؟ هل اطلع على اللوح المحفوظ ؟ أم أن أحدًا قال له ذلك ؟ ! .

اللَّه سبحانه رد على جماعة من المشركين حين قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ (١) ، رد عليهم افتراءهم هذا حين قال : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (٢) .

فكان الرد من اللَّه ﷻ على افتراءات المشركين : من أين علمتم أن اللَّه سبحانه شاء لكم الشرك وكتب عليكم الكفر ؟ .

هل أطلعكم اللَّه على الغيب ؟ أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون ؟

(١ ، ٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

الوجه الثاني : لا يمكن أن نقول عن إنسان أنه مكتوب عليه أن يكون من أهل الشقاوة إلَّا بعد أن يموت وهو مُصِرٌّ على الكفر .

وهنا يرد الاعتراض : **فإذا كان اللَّه كتب عليه هذا فلم يعذبه ؟**

وللرد على هذه الشبهة نقول : إن اللَّه سبحانه متصف بصفة العلم ، وعلمه سبحانه عام شامل يعلم الماضي ، ويعلم الحاضر ، ويعلم المستقبل ، بل علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

فاللَّه سبحانه يعلم أنه سيخلق هذا الإنسان ، ويعلم حينما يخلقه ، يخلقه مختارًا في بعض الأعمال ، وغير مختار في بعضها الآخر :

– **فالأعمال غير المختار فيها** لا دخل له للحساب ولا للعقوبة كأنْ قَتَلَ إنسانًا خطأً من غير قصد ، أو أُكْرِهَ على

شرب الخمر بالقوة ... فهذه الأعمال - كما مر - لا دخل له فيها للحساب ولا للعقوبة باعتبار أنه مسلوب الإرادة والاختيار فيها ...

- **أما الأعمال التي له اختيار فيها فإنها تدخل** في الحساب وفي العقوبة كأن ترك الصلاة مختارًا أو قتل إنسانًا عمدًا ... فهذه الأعمال - كما مر - تدخل في الحساب وفي العقوبة باعتبار أنه يملك حرية الاختيار والإرادة فيها ..

فإذا كان اللَّه سبحانه يعلم من العبد أنه سيختار كذا وسيفعل كذا ... فحينما يكتب عليه في اللوح المحفوظ ما سيختاره وما سيفعله ... فإنما يكتب عليه هذا بناء على علمه المحيط الشامل سبحانه ، ومن المعلوم أن علم اللَّه ﷻ لا يتبدل ولا يتغير ، ومن المعلوم أيضًا أن علمه سبحانه يتعلق تعلق الانكشاف للماضي وللحاضر وللمستقبل ، وليس له صفة إجبار وتأثير كالقدرة !! وإنما يعذبه اللَّه ﷻ، لأن العبد حينما أقبل على الكفر أقبل عليه وهو مصر معاند مختار ...

وبقي على إصراره وعناده واختياره إلى أن مات ، فعندئذ استحق العذاب والعقوبة والخلود في جهنم ..

وهنا يرد هذا السؤال : **هل علمه سبحانه أجبر العبد على الكفر ؟**

الجواب : ليس للعلم - كما مر - صفة إجبار ، وإنما للعلم فقط صفة انكشاف تكشف الأشياء على ما هي عليه ، فاللَّه سبحانه يعلم أزلًا ما يكون من عبده المختار من السعادة والشقاء ، ومن الغنى والفقر ، وما يكون عليه أيضًا من محدودية العمر وحتمية الأجل ... ثم كتب ما عَلِمَهُ في اللوح المحفوظ ، فهو كتب لا ليجبر أحد من العباد على حسب ما كتب ، ولكنه كتب سبحانه لأنه علم أزلًا ما يكون من عبده بمحض اختياره وإرادته .. وعلمه تعالى - كما ذكرنا - له صفة انكشاف للماضي وللحاضر وللمستقبل ... وليس له صفة تأثير ولا إجبار كصفتي القدرة والإرادة ..

والذي أخلص إليه بعدما تقدم :

أن اللَّه سبحانه يعذب العبد ويعاقبه على الأعمال الشريرة التي تدخل في حيز إمكانه واختياره .. أما الأعمال التي لاتدخل في حيز الإمكان والاختيار فلا محاسبة ولا عقاب ، صحيح أن اللَّه ﷻ علم من العبد أزلًا أنه سيختار طريق الكفر ويموت عليه ، ولكن علمه سبحانه له صفة الانكشاف فقط ، وليس له صفة الإجبار والتأثير !! .

وعلى نحو هذا يُحَاسب العباد ويعاقبون في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (١) .

– ٧ –

تدور في أذهان بعض الشباب هاتان الشبهتان .

الشبهة الأولى : بعض الكافرين أو الملحدين يعانون

(١) سورة النحل آية ٣٣ .

أحيانًا على أمر من أمور الدنيا ، بينما لا يعان عليه المؤمن الصالح المتقي الذي يطيع اللَّه ﷻ في كل أحواله ، بل قد يجد المؤمن المتقي من الضراء والابتلاء ما لا يجده الكافر أو الملحد ؟ .

الشبهة الثانية : إذا كان هناك شخص على تقوى من اللَّه ، وكان آخر على فسوق وعصيان ... فهل هنالك قدرة على الاختيار عند الاثنين ؟ وهل هناك حرية اختيار عند الرجلين ؟ ، لأنه متى توفرت حرية الاختيار أصبح هناك اقتضاء للحساب ، أو إن شئت قل : أصبح هناك أساس للمجازاة بالثواب أو العقاب !! .. سأجيب بعونه تعالى بشيء من التفصيل على هاتين الشبهتين وعلى اللَّه قصد السبيل :

● **أما فيما يتعلق بالإجابة على الشبهة الثانية فأقول :**

ولا شك أن عند الاثنين : المتقي ، وغير المتقي القدرة على الاختيار ، بل عندهما حرية الاختيار ، لأن حرية الاختيار متى توفرت في العبد – كما هو معلوم – أصبح

هناك اقتضاء للحساب ، أو أساس للمجازاة بالثواب أو العقاب ..

وحرية الاختيار للعبد قد بينها اللَّه ﷻ في أكثر من آية في كتابه الخالد .

من هذه الآيات :

- يقول اللَّه تعالى في سورة الدهر : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١) .

- ويقول في سورة الكهف : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ (٢) .

- ويقول في سورة النازعات : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (٣) .

(١) سورة الإنسان آية ٣ . (٢) سورة الكهف آية ٢٩ .
(٣) سورة النازعات آية ٣٧ - ٤١ .

- ويقول في سورة الإسراء : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١) .

- ويقول في سورة السجدة : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ (٢) .

والآيات في هذا الصدد أكثر من أن تحصى ..

ومما يدل على أن الإنسان قد منح حرية الاختيار استشعاره بهذه الحرية فيما يريد أن يفعله أو أن لا يفعله ، فالذي يريد الصلاة - مثلًا - يمكن أن يؤديها في أوقاتها بكل حرية دون أن يجد العوائق التي تحول دون عزمه وإرادته .... فإذا تكاسل عنها وتساهل فيها فيكون الذنب ذنبه ، والتقصير تقصيره ...

وقس على ذلك سائر التكاليف التي كلف اللَّه الإنسان بها ، فإنَّه يستشعر بحرية الاختيار في التزامها أو عدم

(١) سورة الإسراء آية ١٥ . (٢) سورة السجدة آية ١٨ .

التزامها ... وهذا أمر لا ينكره إلَّا مكابر !! .. ومما يدل على أن الإنسان قد منح حرية اختيار أيضًا أن المكره على شيء لا يعاقب عليه ، ومعنى الإكراه أن يحملك المكره على ما لا تختار ..

فإذا تدخلت قوة لتكرهك على شيء وأنت تختار غيره فيكون الحساب في هذه قد ارتفع عنك ، بل أصبحت غير مؤاخذ عند اللَّه ﷻ .

اسمع إلى ما يقوله – عليه الصلاة والسلام – : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » أي رفع عنهم الإثم والعقاب .

ومن الملاحظ كذلك أنَّ اللَّه سبحانه حين كلَّف العباد بالتكاليف الشرعية كالاعتقادات والعبادات والأخلاق والمعاملات ... جاءت هذه التكاليف متفقة مع طاقة الإنسان واستعداده ، ومتناسبة مع اختياره وإمكانه ..

فمبدأ الشريعة الذي لا يتبدل قوله تعالى : ﴿ لَا

يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١).

وقاعدتها التي لا تتخلف قوله سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢). وهذا كله من رحمة اللَّه على عباده حتى لا يكون لأي إنسان عذر أو حجة في تساهل ما عن أمْرٍ أمَرَ اللَّه به ، أو نهي نهى اللَّه عنه ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ (٣) !! ...

أما فيما يتعلق بالإجابة على الشبهة الأولى فأقول :

نعم نجد – في نظرتنا للواقع – أن بعض الكافرين أو الملحدين ... يعانون أحيانًا على أمر من أمور الدنيا بينما لا يعان عليه المؤمن التقي الصالح ... ونجد أيضًا أن المؤمن التقي يصاب بالمصائب التي لم يصب بها الكافر ، وهذا أمر لا يمكن أن يخالف فيه أحد !! ..

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .
(٢) سورة الحج آية ٧٨ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٤٩ .

ما الجواب على هذا ؟

من المعلوم يقينًا أن النفس الإنسانية مقبلة على أساس الدنيا فطرة وعادة ، بل لا يوجد أحد يحث على أمور دنياه ، أو يذكر بالأخذ بأسبابها فكل الناس مقبلون على أمور دنياهم بالعمل الدائم ، وبذل الجهد المتواصل ... فالذي يتقن الأسباب مؤمنًا كان أو كافرًا – على الغالب – ينالها ويصل إليها ، يقول اللَّه تعالى في سورة الشورى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (١) .

ويقول أيضًا في سورة الإسراء : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢) .

وعالم الأسباب في مسائل الدنيا مطروح أمام الخلق جميعًا ، فالذي يأخذ للشيء أسبابه ، ويتقن في مجال السعي عمله .. يأخذ خيره ، ويقطف ثمراته سواء أكان

(١) سورة الشورى آية ٢٠ . (٢) سورة الإسراء آية ٢٠ .

مؤمنًا أو كان كافرًا ... ولكن لا يأخذ بالمنهج الذي أنزله اللَّه إلَّا من كان مؤمنًا !! فالمؤمن الذي آمن باللَّه ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبالقرآن إمامًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا .. فالمؤمن هذا ، ساعة أن يأمره اللَّه بأمر ، فثقته بالآمر ، وثقته بالأمر ، وثقته بالتكليف ... تجعله يقبل على الأمر الرباني بكليته ، ويندفع إليه بأحاسيسه ومشاعره . لأنه يعتقد اعتقادًا جازمًا أن اللَّه لا يأمره بأمر ، ولا ينهاه عن نهي ... إلَّا وفيه صلاح دينه ودنياه وآخرته ، فإذا أقبل على الأمر بصدق وإخلاص اكتنفته معونة اللَّه ، وحظي بتوفيقه وتأييده ... بل يجعل اللَّه له من كُلِّ هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا سواء أكان هذا الأمر دينيًّا أو دنيويًّا ؟ !! قال تعالى في سورة الطلاق : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١) .

والدنيا لو كانت تزن عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى

(١) سورة الطلاق آية ٢ – ٣ .

الكافر منها جرعة ماء ، ومن هوانها عند اللَّه أعطاها للمؤمن ، وأعطاها للكافر .. كما صرح بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ..

فعلينا إذن أن نميز بين مسائل الدنيا ، وبين مسائل التكليفات الشرعية التي كلف اللَّه عباده بها .

● فالدنيا - كما ذكر **الصادق المصدوق** - أعطاها للمؤمن ، وأعطاها للكافر قال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (١) .

● أما التكاليف الشرعية التي تصلح للإنسان دينه ودنياه وآخرته ، فأعطاها اللَّه للمؤمن فقط .

فمن هذه التكاليف المأمور بها المؤمن شرعًا :

الصبر على البلاء ، والابتسام للمصاعب ، والرضى بالمصائب .... حتي يحظى المؤمن بهذا الصبر والرضى

(١) سورة الإسراء آية ٢٠ .

والاستسلام ... بغفران الذنوب ومحو الخطايا ... وبالدرجات العلى ، ومنازل الأبرار في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وروى الترمذي وابن ماجه ... عن سعد بن أبي وقاص قال : قلنا : يارسول اللَّه ، أي الناس أشد بلاء ؟ ، قال : « **الأنبياء ثم الأمثل ، فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه اللَّه على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة** » .

وفي الحديث الذي رواه مسلم : « **حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات** » وفي الحديث الصحيح : « **عجبًا لأمر المؤمن ، فإن أمره كله خير ، إذا أصابته سراء شكر فكان**

(١) سورة البقرة آية ١٥٥ - ١٥٧ .

خيرًا له ، وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له » .

ومن هذه المصائب التي قد تصيب المؤمن : مصيبة الخوف ، ومصيبة النقص في الأموال ، ومصيبة موت الأعزاء ، ومصيبة الحرمان في الحياة .. فإذا وطن المؤمن نفسه على الصبر لها ، والاستسلام لقضاء اللَّه وقدره عند وقوعها ... كانت منزلته عند اللَّه عظيمة ، ومقامه في الملأ الأعلى كبيرًا .. بل كان في مصافِّ المتقين الأبرار ، والصديقين الأطهار ...

وصدق اللَّه العظيم القائل في سورة البقرة : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١) والقائل في سورة النساء : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة آية ١٥٥ .
(٢) سورة النساء آية ٦٩ .

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

ومن يدري لعلَّ قلة البسط في الدنيا ، والنقص في الأموال والثمرات ... بالنسبة للمؤمن فيها الحكمة كل الحكمة ، والمصلحة كل المصلحة ، يقول اللَّه سبحانه في سورة الإسراء :

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ (٢) .

ذلك لأن المال في حد ذاته فتنة وابتلاء .. قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

فكثير من الناس وقعوا في الطغيان ، وتخبطوا في المعصية والإثم ... بسبب كثرة المال ، ووفرة الغنى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (٤) .

(١) سورة الزمر آية ١٠ .
(٢) سورة الرعد آية ٢٦ .
(٣) سورة الأنفال آية ٢٨ .
(٤) سورة العلق آية ٦ - ٧ .

والذي أخلص إليه بعدما تقدم :

إن الدنيا أعطاها اللَّه ﷻ للمؤمن كما أعطاها للكافر ، لأن الناس كلهم مقبلون على أسباب دنياهم فطرة وعادة ... واللَّه سبحانه قد تكفل بالرزق للجميع وبالتالي إن المؤمن التقي قد يصاب بالمصائب كمصيبة الفقر مثلًا ولا يصاب بها الكافر في كثير من الأحيان ... حتى يغفر اللَّه له بالصبر زلاته ، ويرفع له في الملأ الأعلى درجاته ... فيكون في مصاف المتقين الأبرار ، والصديقين الأطهار ... وهذا مما لا يحظى به الكافر .

وكذلك فإن اللَّه سبحانه أعطى المتقين وغير المتقين ، القدرة على الاختيار ، بل أعطاهم حرية الاختيار في الأخذ بالتكاليف الشرعية التي أمر اللَّه بها ؛ لأن حرية الاختيار إذا توافرت في العبد أصبح هناك اقتضاء للحساب بل أساس للمجازاة بالثواب أو العقاب ..

فما ذكرناه بيان وشفاء في الرد على هاتين الشبهتين

اللتين تساور أذهان بعض الشباب في خضم الوساوس والتساؤلات ...

– ٨ –

بقي السؤال الذي يقول : « **ما هي أسباب الهداية التي وهبها اللَّه للإنسان وهيأ له ... في إقامة الحجة عليه في معرفة اللَّه والتزام منهجه وشريعته ؟** » .

الحقيقة أن هذه الأسباب كثيرة ومتنوعة .

● من أسباب الهداية التي وهبها اللَّه للإنسان **هبة الفطرة** (١) **الخالصة** مصداقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٢) ، ومصداقًا لقوله – عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري : « **كل مولود يولد على الفطرة** » .

فالإنسان بفطرته الخالصة التي لا يشوبها تأثير البيئة

(١) المقصود بالفطرة : خلق الإنسانِ منذ أن يولد بالإيمان باللَّه والإقرار بوحدانيته .
(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

الفاسدة ، ولا يعتريها عامل التربية المنحرفة .. يصل – لا شك – إلى معرفة اللَّه سبحانه ، ويقر بوحدانيته تعالى ..

ومن أسباب الهداية التي وهبها اللَّه للإنسان **هبة العقل** ، ليميز به بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والحق والباطل ...

ولا شك أن الإنسان إذا نظر إلى الحقائق الكونية بتفكير حرٍّ ، وعقل مجرد . فلا بد أن يصل في نهاية المطاف إلى معرفة اللَّه تعالى ، ولا بد أن يقر بوحدانيته سبحانه ... وقد ذم اللَّه ﷻ قومًا لم ينظروا إلى الحقائق الثابتة بعين عقولهم ، ولم يتأملوا في خلق السموات والأرض بمنطق محاكماتهم وتأملاتهم ... فوصفهم تارة بأنهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ، ونعتهم أخرى أنهم كالأنعام بل هم أضل وبيَّن واقعهم ثالثةً بأنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون ، علمًا بأن مسلوب العقل غير مكلف شرعًا عند اللَّه ﷻ .

● ومن أسباب الهداية التي وهبها اللَّه للإنسان **حرية الاختيار** ، بأن جعل اللَّه ﷻ فيه القدرة التامة في أن يفعل هذا الشيء أو أن لا يفعله . وهذا أمر لا ينكره أحد بل يستشعره الإنسان من نفسه . ويجده واقعًا متحققًا في أقواله وأفعاله وسلوكه وسائر تصرفاته ..

والقرآن الكريم – كما سبق ذكره – قد قرر للإنسان في كثير من الآيات حرية الاختيار في أن يفعل وأن لا يفعل ، ليكون مسؤولًا أمام اللَّه ﷻ عن جميع ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وسلوك وتعامل ..

فمبدأ القرآن العام الذي لا يتبدل : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ (١).

وقاعدته الكلية التي لا تتغير :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الإنسان آية ٣ .

علمًا بأن الأمور المسير فيها أو المكره عليها غير مؤاخذ عنها أمام اللَّه ﷻ ..

● ومن أسباب الهداية التي وهبها اللَّه للإنسان **سلامة الحواس** من سمع وبصر ولسان وفؤاد ... لكونها منافذ للوصول إلى معرفة اللَّه سبحانه بمعرفة حقائق الكون ، واللَّه سبحانه قرر في محكم التنزيل بأن الذي لا يستخدم حواسه للوصول إلى معرفة الحقائق يكون مسؤولًا أمام اللَّه ﷻ لكونه لم يضع هذه الحواس في الموضع الذي خلقت من أجله ألا وهو معرفة اللَّه المتحققة في معرفة الكون والحياة والإنسان ...

قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١) .

فلو تصورنا أن إنسانًا ولد أصم أعمى أخرس في آنٍ واحد ، فيكون غير مسؤول أمام اللَّه ﷻ عن كل تصرفاته ، باعتبار أن المنافذ التي تعرِّفه بالحلال والحرام ، والخير والشر ،

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

والحق والباطل ... قد سُدَّت جميعًا ، فما وجدت في نفسه طريقًا لمعرفتها والوصول إليها !! فكيف يفعل الخير ، وينتهي عن الشر .. وقد سدت أمامه منافذ الهداية ؟ واللَّه سبحانه يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ (١) .

● ومن أسباب الهداية التي هيأها اللَّه للإنسان **وصول الدعوة الإسلامية إليه** . وعلى فرض أن الدعوة الإسلامية لم تصل إلى قوم أبدًا ، أو وصلتهم مشوهة على خلاف حقيقتها ، فإنهم غير مؤاخذين شرعًا بدليل قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢) .

وكيف يستجيب الإنسان لشريعة الرسول ﷺ ، والشريعة لم تصله بعد ، أو حينما وصلته وصلته مشوهة على خلاف حقيقتها ؟ .

● ومن أسباب الهداية التي خص اللَّه الإنسان بها **يسر التكاليف** المتحققة في شريعة الإسلام ؛ لأن من خصائص

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .
(٢) سورة الإسراء آية ١٥ .

هذه الشريعة الإسلامية الغراء أن جعلها اللَّه ﷻ متناسبة مع طاقة الإنسان ، ومتوافقة مع مطالب الفرد ، ومصالح الجماعة ، ومتلاقية مع العمل للدين والدنيا والآخرة في انسجامٍ تامٍّ ، وتوافق كامل ...

فمبدأ الشريعة العام الذي لا يتبدل :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١)

وقاعدتها الكلية التي لاتتغير :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (٢)

وشعارها الدائم على مدى الزمان والأيام :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) فلو كانت التكاليف الشرعية فوق طاقة الإنسان ، وفوق إمكانه واستطاعته ... فكيف يوفق بين واجباته الدينية ، ومسؤولياته الدنيوية ، أو بعبارة أوضح كيف يوفق بين

(١) سورة الحج آية ٧٨ . (٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

العمل للآخرة وبين العمل للحياة ؟ .

حدثوني بربكم أيها الشباب :

فإذا كان اللَّه ﷻ وهب للإنسان منذ أن ولد فطرة التوحيد وإذا كان قد منحه : العقل من أجل أن يميز .

وإذا كان قد خلق فيه القدرة على الاختيار .

وإذا كان قد أكرمه بسلامة الحواس ..

وإذا كان قد أوصل إليه الدعوة على حقيقتها ..

وإذا كان قد يسر له التكاليف الشرعية بأسرها ..

فإذا كان اللَّه سبحانه منح الإنسان كل هذا .. فهل يكون له حجة أو عذر في التخلي عن الهداية ، والبعد عن شريعة اللَّه ؟ !

وهل يجوز له أن يحتج بالقضاء والقدر إذا أهمل فريضة من فرائض الإسلام ، أو تقاعس عن حق من حقوق اللَّه ؟ !

فإذا كان الجواب : « لا »

فلماذا يتساهل الناس بواجباتهم الدينية ؟ ولماذا يتخلون عن مسؤولياتهم الإسلامية ؟ ولماذا يقصرون في طاعة ربهم؟ ولماذا يعرضون عن أوامر شريعتهم ؟ ولماذا يحتجون بالقضاء والقدر إذا قصروا في جنب اللَّه ؟ ! نعم ، نقول لهذا الإنسان الذي يحتج بالقضاء والقدر تبريرًا لعصيانه وانحرافه ... نقول له :

– إذا جاءك إنسان معتدٍ ، ولطمك على خدك ، ثم اعتذر قائلًا : لا تؤاخذني ، لأن هذه اللطمة وقعت على خدك بقضاء اللَّه وقدره ، هل تقبل منه هذا الاحتجاج ؟ فإذا كنت لا تقبل ، فلماذا تدخل القضاء والقدر حين تهمل حقًّا من حقوق اللَّه ؟ .

فلماذا تدخل القدر هنا ولم تدخله في اللطمة هناك ؟ ! .

تصور لو عندك امتحان للشهادة الثانوية ، وطلب منك النظام أن تكون في قاعة الامتحان في كل يوم من أيام

الامتحان في تمام الساعة السابعة صباحًا ، وبيتك بعيد عن مكان الفحص ، فكيف يكون اهتمامك ؟ لا شك أنك تأخذ بكل الأسباب حتى تصل إلى قاعة الامتحان في الموعد المذكور .

فلماذا رتبت أمورك هكذا بحيث وقع الأمر – بعد الأخذ بالأسباب – على ما تختار ؟ ! ، لكن إذا قيل لك : قم الآن فصل للَّه فريضة ، أو قم فاعمل للَّه طاعة ... فلماذا تقول : حتى يشاء اللَّه ، وتدخل القدر في ذلك ؟ فلماذا تدخل القدر هنا ، ولم تدخله في اهتمامك للامتحان هناك ؟ ! .

– لو فرضنا أنك شاب في مقتبل العمر ، ولم تتهيأ لك أسباب العمل بعد ؛ فماذا تفعل ؟ لا شك أنك تسعى جهدك ، وتتجه بكليتك لتؤمن لك في المستقبل القريب العمل المناسب الذي يدر عليك ربحًا ، وتكسب من جرائه مالًا ... ولو واصلت في سبيل ذلك ليلك بنهارك ،

وراحتك بتعبك ... ولكن إذا قيل لك : أدِّ حق اللَّه في الطاعة والعبادة فلماذا تعتذر بالقضاء والقدر ؟ ولماذا تحتج على أداء الحق بمشيئة اللَّه ؟ .

فلماذا تدخل القدر هنا ؟ ولم تدخله في ابتغاء الرزق هناك ؟ !! والأمثلة على ذلك كثيرة أعظم من أن تحصى ، وأكثر من أن تستقصى !! .. أتدرون - يا شباب - لماذا يحتج أولئك بالقضاء والقدر ؟

يحتجون لأنهم في الواقع يريدون أن يهربوا من أداء مسؤوليتهم نحو ربهم ، وأداء حق اللَّه عليهم ؛ وكذلك يريدون أن يبرروا انحرافهم وعصيانهم ... بمثل هذه الاحتجاجات الباطلة التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان !! .

أروني واحدًا من هؤلاء استجاب للَّه وللرسول إذا دعاه ، وأدى حق اللَّه عليه .. ثم قال : طاعتي للَّه هذه كانت بقضاء اللَّه وقدره ، وكانت بتوفيق اللَّه وإرادته !! إذن لم يكن احتجاجهم هذا إلَّا من أجل أن يهربوا - كما

ذكرنا - من القيام بالواجب ، ومواجهة المسؤوليات ... ويبرروا فسوقهم وعصيانهم في هذه الحياة !! .

فما شأن أولئك في هذه الاحتجاجات الباطلة إلَّا كشأن المشركين الذين قال اللَّه عنهم : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

أرأيتم كيف رد عليهم افتراءهم الكاذب ؟ قال لهم : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ - ١٤٩ .

أرأيتم ماذا علَّم اللَّه نبيه محمدًا ﷺ من ردود على افتراءات المشركين الكاذبة ؟ .

قل لهم يامحمد : من أين علمتم أن اللَّه سبحانه شاء لكم ولآبائكم الشرك ؟! إن تتبعون إلَّا الظن وإن أنتم إلَّا تكذبون على اللَّه أشد الكذب ..

وقل لهم يا محمد ﷺ : إن اللَّه سبحانه أقام عليكم الحجة البالغة في تهيئة أسباب الهداية لكم ، هذه الأسباب جاءت متساندة متعاضدة في إقامة الحجة : إذ فطركم على التوحيد ، ووهبكم نعمة العقل ، وخلق فيكم القدرة على الاختيار ، وأكرمكم بسلامة الحواس ، ودلكم على الحق ببعثه الرسول ، ووضح لكم المنهج بنزول القرآن ، ورسم لكم من التكاليف ما يتفق مع طاقتكم واستعدادكم ...

ولو شاء اللَّه أن يهديكم بدون أسباب وطرائق لفعل ، لأنه القادر على كل شيء ولا يُسأل عما يفعل ، ولكن اللَّه سبحانه أراد أن يقرن مشيئته بعدله في إقامة الحجة

على العبد بهذه الأسباب التي تجعله صالحًا إن اختار طريق الصلاح ، وتجعله مهتديًا إن سلك سبيل الهداية ، وتجعله مؤمنًا إن أخذ بأسباب الإيمان ... وصدق اللَّه العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١) .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾ (٣) .

ويا ليت أولئك حين يحتجون بالقدر ، يكون احتجاجهم به وهم يخوضون المعارك والحتوف ، ويجاهدون في ساحات الوغى من أجل إعلاء كلمة اللَّه ، نعم ... لو كانوا كذلك جاز لهم هذا الاحتجاج ،

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٤٩ .
(٣) سورة النساء آية ١٦٥ .

وجاز لهم أن يعتقدوا أن الآجال بيد اللَّه وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوا أحدًا بشيء لم ينفعوه إلَّا بشيء قد كتبه اللَّه له ، وإن اجتمعت على أن يضرُّوا أحدًا بشيء لم (يضروه) إلَّا بشيء قد كتبه اللَّه عليه . وصدق اللَّه العظيم القائل : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢) .

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (٣) .

(١) سورة التوبة آية : ٥١ .
(٢) سورة الحديد آية ٢٢ - ٢٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٤ .

وما أحسن ما قاله عليٌّ - كرَّم اللَّه وجهه - في هذا المعنى !!

أي يومين من الموت أفر
يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحذر

ذلك لأن اللَّه ﷻ علم أزلًا - كما ذكرنا - متى سيكون أجل فلان ، وأجل فلان .. فكتب ما علمه في اللوح المحفوظ ، فتنتهي آجال المخلوقات على وفق علمه سبحانه ، وعلى وفق ما سطره في اللوح المحفوظ .

ولا شك لو أن أولئك احتجوا بالقدر على هذا النحو الذي أسلفناه ، لاندفعوا نحو العمل والجهاد غير هيّابين ولا وجلين .. ولا استطاعوا بهذا الاحتجاج وهذا الاندفاع أن يستعيدوا مجد الجدود ، وأن يحولوا مجرى التاريخ ، وأن يقيموا في العالمين دولة الإسلام !! .. **لأنهم**

لم يفهموا القدر على أنه تواكل وتكاسل ، وقعود عن القيام بالواجبات ، وتخل عن تحمل الأعباء والمسؤوليات ... وإنما فهموه على أنه اندفاع وإقدام وشجاعة ، وصناعة الأمجاد والحضارة والتاريخ ...

اللهمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، اللهمَّ احفظ شبابنا من عقائد الزيغ ، ودسائس الانحراف ... ووفقهم إلى أن يفهموا القضاء والقدر على أنه التزام لطاعة اللَّه ، وعمل للدين والدنيا ، وجهاد في سبيل الإسلام إنك خير مسئوول ، وبالإجابة جدير ..

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

الفهرس

المقدمة ٣
من هو الإنسان وما هي أفعاله ؟ ٦
لماذا يحاسبنا اللَّه على الأفعال الشريرة ؟ ١١
الهداية في القرآن تُحْمَلُ على معنيين ؟ ١٨
ما معنى ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ٢٢
إذا كان اللَّه كتب عليّ الشقاوة فلماذا يعذبني ؟ ٢٧
شبهة إعانة الكافرين على أمر الدنيا ٣٧
شبهة حرية الاختيار بين إنسان متق وغير متق ٣٨
ما هي أسباب الهداية ؟ ٤٥
الفهرس ٦١

رقم الإيداع
2002/8859
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 067 - 1

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع سويًّا مسيرتنا إلى الأمام ويعود النفع على القارئ والدار .

*** فهيَّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملاً : ..... **الوظيفة :** .....

المؤهل الدراسي : ..... **السن :** .....

الدولة : ..... المدينة : ..... حي : ..... شارع : .....

ص.ب : ..... تليفون : ..... فاكس : .....

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ..... المدينة ..... العنوان .....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) .....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) .....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟

☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع (لطفًا وضح لِمَ) .....

- هل صادفت أخطاء مطبعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

☐ لا يوجد ☐ نادرًا ☐ يوجد أخطاء مطبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ .....

.....

.....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

.....

.....

.....

.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على العنوان التالي
ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية
لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا